# ثـــــأر

## نورهان ياسر

رؤية مشوشة، وعيّي يتسرب ببطء، ألمح قطرات الدماء تجري هابطة درجات السلم الذي ظهر بعد عناء، وذلك الكيان يبتعد حاملًا نظرة تشفٍ واضحة، تتسارع الأحداث أمامي حاملة ذكريات ماض ليس ببعيدٍ، أحداث بعضها انتهى من أيام بآخر مكالمة تخبرني ألا أحاول الإقتراب حتى تصبح الأحوال مهيئة، و أخرى كانت فقط منذ ساعات قليلة بدأت برنين هاتف العمل حاملٍ عبر الأسلاك طلب وجبه طعام ساخنة في ذلك الوقت المتأخر من الليل، ليكن عليَّ أنا عامل التوصيل أن احملها إلى ذلك العنوان الذي لم يكن بعيدًا، ولا غريبًا.

ذهبت لتوصيل الوجبة وفي خلال دقائق كنت استقل المصعد لأبلغ الطابق المطلوب في ذلك البرج السكني الفخم.

توقف المصعد، وهنا كانت الكارثة لقد انفتح من الأربع جهات لم يعد به سوى ما أقف عليه أما جوانبه الأربع فقد تحولت لأبواب مفتوحة أمام كل منها يظهر باب يحمل رقم الشقة التي أرجوها!

تملكني الذعر لا أدري من أين أخرج ولا أيٍّ منهم هو الباب الصحيح، ولم أتمكن حتى من الهبوط مرة أخرى أي كارثه تلك؟!

ارتفعت ضربات قلبي عندما بدأت أبواب الشقق الأربع تفتح ببطء ليظهر خلف كل منها شخص.

(الباب الأول) تقف به امرأة فاتنة آثار هلعي ثيابها التي كأنها قد تمت حياكتها من أفاعٍ صغيرة تتلوى بعنف و تحيط عنقها بأفعى أكبر حجمٍ تتلوى بلا توقف، هربت بنظري عنها (للباب الثاني) لأجد عنده رجل وقور لا يعيبه سوى أنه بلا عينين فقط بقعتين داميتين تسيل منهما الدماء بلا توقف ، أما (الباب الثالث) فوقفت به طفله تبكي وتشير لحلقها فذلك السكين المستقر بعنقها يثير تعبها وختاما (الباب الرابع) الذي احتلته تلك العجوز التي تنظر لي بغيظ لا أفهمه. أخذت أدور حول نفسي بلا توقف لا أجد مخرجًا ، لن أترك مكاني أبدًا ، رباه أنقذني، لكنهم بدأوا في التحرك تجاهي ليتَوقفوا أمامي ناطقين في صوتٍ واحد:

- أين الطعام؟!، آتنا به فنحن جوعى وستحصل على هدية مميزة.

أخذت ادور حول نفسي وأنظر إليهم أخاف أن أولي ظهري لأحدهم، وهنا حدث أمر عجيب اختفوا جميعًا ، وعاد المصعد لهيئته لأسقط أنا أرضًا وأنا أرتجف فزعًا ليتحرك المصعد من جديد لا أدري صعودًا أم هبوطًا، ليتوقف مرة أخرى حاملًا إياي لنفس الطابق مرة أخرى أخذت أضغط الأزرار بعنفٍ رباه ليس مرة أخرى لكن لا استجابة هنا انفتح الباب الطبيعي ببطء ليُواجهني باب الشقة المطلوبة من جديد يستقر وحيدًا في الطابق كله اقتربت منه، أجد أن المصعد قد تحرك راحل تاركًا مكانه حائط مصمت، بحثت عن السلم للهبوط لم أجد لقد سجنت بالطابق! صرخت طالبًا النجدة لكن لا مجيب.

تساءلت: أ هي مصادفة؟ ثم قررت التصرف بهدوءٍ، هم جوعى ومعي طعام سأضع الوجبات أمام الباب وأتراجع للخلف ربما انفرجت الأزمة.

ببطء اقتربت وأنا ارتجف خوفًا، وضعت الطعام أمام الباب وما إن انتهيت إلا وانطلقت ضحكة رنانة مرعبة، استمرت لثوانٍ لينطلق بعدها صوتٍ رخيم قائلًا:

- أيها الشاب ألا تريد ثمن طعامك، لك ما تشاء.

كانت عيناي مصوبة تجاه الباب الذي انفتح فجأه ليبرز منه هؤلاء الاشخاص مرة أخرى أمامي، وبصوتٍ مرتجف، همست أريد الرحيل فقط! هنا ردت السيدة العجوز:

- لا رحيل قبل أن نمنحك ثمن الطعام، لكن لا مال لدينا سنمنحك أشياء أخرى.

-كررت بخوف: أريد الرحيل.

تحركت السيدة الفاتنة نحوي يسبقها عطرها الفواح ممزوجٍ بحفيف تلك الأفاعي المحيطة بها لتهمس بغنجٍ:

-لا تخشاهم فهُم ودودين فقط تحصل على هديتك، عندها ترحل لا تثر غضبنا فهذا الود قد يتحول، عندها لن تكون سعيدًا.

إذن لا سبيل سوى الإستسلام علَّها النجاة، عدت للخلف بعيدًا عن تلك الأفاع وأنا أردد:

-ما المطلوب مني؟

تحدث الرجل الوقور ذو البقعتين الداميتين:

obeikandl.com

-لا شيء فقط لتختار أحدنا ليمنحك هديتك عندها يظهر باب الخروج، وأحسن الاختيار فمن تختاره ربما حمل لك شيئًا ثمينًا،هدية أو لعنة، أو الموت.

تحسست عنقي مرددًا:

- (موت)؟! رباه انقذني.

هنا هتفت بي الطفلة أنا جائعة، اقترب مني ليقاطعها الرجل جميعنا أصابنا نصيبا من الجوع وها هو الطعام فتحلي بالصبر.

شيء بداخلي يخبرني أني المقصود، أنا طعامهم إذن لاختار الطفلة فهي لن تفوقني قوة علي كل حال وهتفت بهم سأختار الطفلة، ليحدث شيء رهيب اشتعلت النيران بالأشخاص الثلاثة لتنطلق صرخاتهم المريعة، وما إن انطفأت النيران إلا وتحولت الطفلة لكيانٍ ضخم مؤلف من الأربعة أشخاص مجتمعين لا وصف له؟

سقطت هلعًا، ماذا فعلت بنفسي ليتحدث ذلك الكيان أمامي بتشفٍ:

- الكل يقع بنفس الخطأ غروركم البشري لا ينتهي، كانت الأضعف في رأيك لكنها تحمل قوتنا مجتمعة. هيا فلتُتمم اختيارك!

زحفت أرضًا نحو الباب وأنا أرى بخيالي نهايتي، وذلك الكيان يتعاظم ويزداد تضخمًا أمامي، اجتزت الباب لأجد الطفلة أمامي من جديد لكن بلا جروح ولا سكين تلك المرة مجرد فتاة بريئة تلهو بألعابها، فجأة فتحت عيناها ذعرًا على صوت شجار بين والدها ووالدتها على ما يبدو واللذان لم يكونا سوى الرجل الوقور وتلك الفاتنة لكن بهيئة بشرية طبيعية.

اختبأت الفتاة ذعرًا أسفل المقعد وهما مستمران بالشجار لا يُباليان بها ، الرجل يتهم زوجته بخيانته، يخبرها أنها تحاول قتله باستمرار وهو يعلم بكل محاولاتها، وأنه على علم بذلك الشاب العامل بتوصيل الطعام-حبيبها السري- وتلك الفتاة ربما ليست ابنته برقت عينا المرأة بتبجح وهي تخبره بصدق تخميناته، مهددة إياه بفضيحة مدوية فانهال عليها ضربًا ليختفي بعدها بإحدى الغرف ليعود حاملًا قنينة صغيرة وكيس قماشي به شيء يتلوى بعنف وهو يصرخ حاولت قتلي بهم، وبهم تموتين وأمام عيوني الذاهلة أمسكها بعنف ليسقيها ما في القنينة عنوة يبدو أنه سم، ليحل الكيس بعدها وتتحرر منه تلك الأفعى، تتزامن صرخة المرأة مع صرخة الطفلة؛ فقد ذبح الطفلة بسكين استله من بين ملابسه، عندها هتفت المرأة وهي بين سكرات الموت:

- هي ابنتك كنت استفزك، نعم حاولت قتلك من أجل حبيبي، والإرث، لكنها ابنتك.

انهار الرجل فزعًا من اعترافها لم يتحمل ما اقترفت يداه وبلا تردد طعن كلتا عيناه لتتفجر منهما الدماء، ليتزامن سقوطه مع فتح باب المنزل، وقدوم تلك العجوز الطاعنة يبدو أنها والدة أحدهم والتي انهارت فوق رؤية المشهد وبجنونٍ اختفت داخل طرقة جانبية ليبدأ بعدها الهول، رائحة غاز صاحبت صرختها قضيتي علينا يا فاجرة جلبت لنا العار لن أترك سمعتنا للألسنة، لينتهي الأمر بنارٍ هائلة اندلعت تبعها انفجار هائل أطاح بي خارج الشقة، لأجد نفسي وقد تدحرج

جسدي على سلم المنزل الذي ظهر من العدم لتصطدم رأسي ببروزٍ حديدي وانسابت دمائي منذرة بغياب وعيي عندها رأيت ذلك الكيان وهو يبتعد قائلًا:

- ها هي هديتك، الحقيقة التي لم يعرفها أحد، ثمن متعة محرمة حصلت عليها وجشع ملأ قلبك وكان المقابل تلك الأسرة، نرجو أن تكون الهدية قد نالت إعجابك.

opeikandl.com